وعلى أية حال ﴿سُقِطَ﴾ العجل ﴿فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ حرقاً ونسفاً أمامهم، فسقط ما بأيديهم من زعم ألوهته ورأوا أنهم قد ضلوا.

أجل، هذا العجل الذهبي الذي عبدوه لأنه له خوار ومن الذهب الذي هو معبود إسرائيل على طول الخط، هذا العجل سقط في أيديهم فسقط ما اتخذوه إلهاً عن ألوهته أمامهم.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾:

﴿. . . قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾[1].

«رجع غضبان» على ما حصل ﴿أَسِفٗا﴾ لماذا حصل؟ أم وأسفاً مما عنهم أعجل ﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ من الخُلف دون الخَلف حيث الخَلف هو الخُلف المخالفة أن يجعل خلفه أمامه: وخلفتم إياي إذ أخلفتم موعدي فما تبعتموني إلى الطور، ثم لما ظللتم في خلفكم ضللتم بخُلفي في شرعة التوحيد، خلفاً في تخلُّفين اثنين ثانيهما أخلف، ولماذا أخلفتموني هكذا؟.

﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ من وعده الذي. وعدكم من إنزال التوراة بمواعدة الثلاثين المتمّمة بعشرة، ومن وعيده ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾، وهما ينتظمان هكذا في ﴿أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾.

﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ بما ألغوها فيما خلفوا من بعده وخالفوه، وقضية

(١) سورة طه، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

الغضب والأسف على ما حصل، حيث القصد منها هداهم وهم قد عبدوا العجل الجسد!.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غضبان أسفاً من خلفية هذه الخلافة ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[1].

﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي﴾ بكثرتهم وقلتي ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ لماذا أمنعهم ولا أتبعهم فيما ضلوا وظلوا عليه عاكفين ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ الذين ﴿ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ أن يروني مذلّلاً بين يديك ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ في ذلك التأنيب الشديد ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

هنا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ وقد كانت «أماه» لمكان الفتح، وليستجيش في نفس موسى الغضبان الأسف عاطفة الأخوة الرحيمة من ناحية الأم الحنونة - مهما كان هناك والد[2] واحد أم اثنان[3] فهذا النداء الرقيق الرفيق، وتلك الوشيجة الرحيمة الحميمة يريد التخفيف عن هياجه واندفاعه أمام ذلك الواقع الجلل المرير.

---

(١) سورة طه، الآيات: ٩٢-٩٤.

(٢) في خطبة الوسيلة لعلي عليه السلام: كان هارون أخاه لأبيه وأمه.

(٣) نور الثقلين ٢: ٧٢ في العلل بإسناده إلى علي بن سالم أخبرني عن هارون لِمَ قال لموسى: يابن أُم..؟ ولم يقل: يابن أبي؟ فقال عليه السلام: إن العداوات بين الإخوة أكثرها يكون إذا كانوا بني علات ومتى كانوا بني أم قلّت العداوة بينهم إلّا أن ينزغ الشيطان بينهم فيطيعوه فقال هارون لأخيه موسى عليه السلام: يا أخي الذي ولدته أمي ولم تلدني غير أمه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل يابن أبي لأن بني الأب إذا كانت أمهاتهم شتى لم تستبعد العداوة بينهم إلّا من عصمه الله منهم وإنما تستبعد العداوة بين بني أُمّ واحدة، قال قلت له: فلِمَ أخذ برأس أخيه يجره إليه وبلحيته ولم يكن في اتخاذهم العجل وعبادته له ذنب؟ فقال: إنما فعل ذلك به لأنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب ألا ترى أنه قال لهارون: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢-٩٣] قال هارون: لو فعلت ذلك لتفرقوا ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

فلقد تهدرت أعصاب موسى عليه السلام بهذه الجيئة الفجيعة إذ رأى تهدرت كلّ دعواته الرسالية في قومه، فلم يتمالك نفسه، إلّا أن يفعل ما فعل، وهو قضية الموقف المحتار، وعلّه هكذا فعل بأخيه المختار من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، أنه إذا كان دوره مع خليفته المعصوم العزيز الحفيظ هكذا، فما هو دوره - إذاً - مع هؤلاء الذين ضلوا واستضعفوه وكادوا يقتلونه، تعبيداً لجوّ التأنيب الشديد بهم وأمرهم الإمر أن «اقتلوا أنفسكم..».

ذلك، وليعلموا أن شرعة العدل لا تعرف قرابة وآصرة إلّا قرابة الإيمان وآصرته، وحين يؤنّب أخاه البريء هكذا فماذا هو فاعل بهم وهم خونة مجرمون؟.

ذلك وقد يعني من أخذه رأس أخيه يجره إليه معذلك التخفيف عن غضب أخيه والتحبب إليه، ولذا ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ دون أن «يبعده عنه» فلذلك الجر معنيان اثنان، تأنيب من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة» وتجيب أنه - فقط - «إليه» في هذه المعركة الصاخبة، فقد هدّموا بعبادتهم العجل الثقلين، وعلّ من غايات ذلك الإلقاء والأخذ هو بيان ذلك التهدير الحذير.

وقد يضرب الإنسان على وجهه نفسه ورأسه ويعض على يديه عند الغضب والأسف وليس له ذنب فيما حصل، وهكذا فعل موسى بأخيه اعتباراً له أنه نفسه تحسراً وغضباً على ما حصل، ولكنه على أية حال لا يخلو من تأنيب بهارون كما يعرف من جوابه.

ذلك وقد يوجه ما فعل موسى عليه السلام بالثقلين: الألواح وأخيه، بأنه رأى أنهما ألغيا في رأس الزاوية لهما وهو التوحيد، فألقاهما تأشيراً أنهم ألغوهما، ثم أخذ الألواح واستغفر لنفسه ولأخيه إعادة لكيانهما استمراراً للدعوة التوحيدية في قومه[1] ذلك، وهذه المواجهة المُرة في ظاهر الحال مع

(١) تجد التفصيل على ضوء الآيات في طه من الفرقان ١٦: ١٧٣ - ١٧٨.

هارون عليه السلام كانت: ١ - أن ملكه الغضب إذ رأى أن رسالته كلّها تهدرت في تلك الفترة الفتيرة القصيرة وفيهم هارون أخوه وخليفته! ٢ - وأن هذه بعناية قاصدة بإياك أعني واسمعي يا جارة لكي يعلم بنو إسرائيل ماذا عليهم من عقوبات بفعلتهم القاصدة الحمقاء العاندة، حين يواجه هارون بتلك المواجهة المرة وكما يخاطب الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بخطابات قاسية تعني ما تعنيه كـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[١] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾[٢] ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[٣] وما أشبه، والمقصود غيره، والزاوية الثانية - وهي غير معنية - أنه هتك أخاه كأنه قصّر فيما حمّل من خلافته الرسالية، فأعذر نفسه من هذه الزاوية، لكي يعلموا أنه ليس هو المقصود بالمهانة.

ذلك، وعلى أية حال، كما ملكت النبوة موسى عليه السلام بكلِّ كيانه وشراشر كونه، كذلك يملكه الغضب حين يرى نبوته ودعوته الطائلة ساقطة بين يديه من هؤلاء الذين عبدوا العجل، إذاً فحق له أن يلقي الألواح - دون إلغاء - وإنما إلقاءً لقاءَ ما رأى نبهة لهم أنكم القيتموها إلغاءً، وحق له أن يأخذ برأس أخيه يجره إليه - دون أن يبعده عنه - حين لا يرى حاصلاً صالحاً لكونه فيهم حيث استضعفوه وكادوا يقتلونه.

وحق لهارون أيضاً أن يُدافع عن نفسه تبييناً لموقفه المرير أمام ذلك الواقع الشرير.

ولما أعذر هارون نفسه من هذه المزرأة المضلّلة: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ فلم يكن لي عليهم من سلطان حتى أمنعهم عما ضلّوا، بل قد أبلغت

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

خلافتي الرسالية لمنتهاها، وحتى ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾، عذره موسى ودعا له ولنفسه[١].

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾:

﴿ٱغْفِرْ لِي﴾ ما عجلت عن قومي وما صاحبتهم إلى الميعاد فحصل ما حصل، و﴿ٱغْفِرْ لِي﴾ ما فعلت بأخي حيث لم يستحق ذلك التأنيب الشديد، واغفر ﴿وَلِأَخِي﴾ إذ لم يستطع أن يخلفني كما يجب قصوراً ولا تقصيراً إذ قدم ما قدم بطوعه وقوته على ضعفه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾[٢] مما يلمح إلى مدى عذره بدوره خليفة الرسول بغيابه، ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ الخاصة بعد ما خرجنا منها فترة الابتلاء ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

فقد نرى أن هارون لم يقصّر في خلافته، اللّهم إلّا قصوراً باستضعافه وخوف قتله، إلّا أن واقع الحال يتطلب تلك الظاهرة الغضبانة الأسفة من موسى عليه السلام بهارون، ورغم أنهم استضعفوه وعظهم ونذّد بهم: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ...﴾ حتى كادوا ليقتلوه، وقتل الداعية قد يسمح له في سبيل الدعوة إن أثّر في تحقيقها أم في مزيد الحجة وإنارة المحجة، ولكن بني إسرائيل المعروفين بقتل النبيين لم يكونوا ليتأثروا بقتل هارون إلّا حظوة لهم في خطوتهم الخاطئة هذه، إزالة لمن يصدهم عنها، وتقليلاً لساعد الداعية ومساعده، فتعريض هارون نفسه للقتل - إذاً - لم يكن إلّا تعريضاً

(١) نور الثقلين ٢: ٧١ في تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لما أخبر موسى عليه السلام أن قومه اتخذوا عجلاً له خوار فلم يقع منه موقع العيان فلما رآهم اشتد غضبه فألقى الألواح من يده وللرؤية فضل على الخبر.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٩٠، ٩١.

للرسالة التوراتية إلى الخمول بفقد وزيرها الحزير الحريز العزيز ودونما فائدة وعائدة إلّا لعمق الضلال وحمقه لهؤلاء الأنكاد الأوغاد.

ترى ولماذا لم يلق الألواح في الطور إذ قال له ربه ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[١] ولم يغضب غضبه إلّا هناك بعد ما رجع إلى قومه؟ لأنه لم يقع هناك موقع العيان وللرؤية فضل على الخبر»[٢] ثم وإلقائه الألواح وأخذه برأس أخيه هما ظاهرتان دعائيتان أمام القوم فلم يكن لهما موقع في الطور إلّا باطن الغضب.

وفيما يُروى عن النبي ﷺ «رحم الله أخي موسى عليه السلام ليس المخبر كالمعاين، لقد أخبره الله بفتنة قومه وقد علم أن ما أخبره ربه حق وأنه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع إلى قومه ورآهم فغضب وألقى الألواح[٣].

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٢) المصدر عن المجمع روي أن النبي ﷺ قال: . . وفي الدر المنثور ٣: ١٢٧ عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ: يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر أخبره ربه تبارك وتعالى أن قومه فُتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح فتكسر منها ما تكسر، أقول: مثل هذا الإلقاء إلغاء لكتاب الله فلا يصدّق على رسول الله، فإنما ألقى الألواح بكلِّ حرمة ورعاية تدليلاً على أنهم ألغوها في غيابه برأس الزاوية التوحيدية فيها.
وفي المصدر في بصائر الدرجات عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل رجل من أهل بلخ عليه فقال له: يا خوزستاني تعرف وادي كذا وكذا؟ قال: نعم قال: من ذلك الصدع يخرج الدجال قال ثم دخل عليه رجل من أهل اليمن فقال: يا يماني تعرف شعباً كذا وكذا؟ قال: نعم. قال له: تعرف شجرة في الشعب من صفتها كذا وكذا؟ قال: نعم قال له تعرف صخرة تحت الشجرة؟ قال: نعم قال: تلك الصخرة التي حفظت ألواح موسى على محمد ﷺ، وفي آخر عنه عليه السلام قال لي أبو جعفر: يا أبا الفضل تلك الصخرة التي حين غضب موسى عليه السلام فألقى الألواح فما ذهب من التورية التقمته الصخرة فلما بعث الله رسوله ﷺ أدته إليه وهي عندنا.
أقول: ألم تكن تلك التي التقمته تحمل شرعة توراتية، فكيف ظلت في الصخرة فما أدته إلى موسى ولا المسيح عليهما السلام وهي تحمل شرعتهما، ثم أدتها إلى محمد ﷺ ولا تحمل شرعته؟!.

(٣) نور الثقلين ٢: ٧٤ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سلمان الفارسي عن =

أجل فحينما يملك الغضب موسى عليه السلام لحدٍّ يلقي ألواح التوراة فهلا يأخذ - إذاً - برأس أخيه، حيث يرى سحقاً ومحقاً للرسالة والرسول في تلك الفترة القصيرة الفتيرة، فأين الرسالة - إذاً - وأين الرسول؟!.

فكما أن إلقاءه الألواح لا يعني إهانة لها، كذلك أخذه برأس أخيه لا

= النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل يقول فيه لعلي عليه السلام: . . .

وفيه عن روضة الكافي خطبة لعلي عليه السلام وهي الخطبة الطالوتية وفي آخرها: ثم خرج من المسجد فمر بصبرة فيها نحواً من ثلاثين شاة فقال: والله لو أن رجالاً ينصحون لله عز وجل ولرسوله بعدد هذه الأشياء لأزلت ابن آكلة الذبان - جمع ذباب - عن ملكه فلما أمسى بايعه ثلاثمائة وستون رجلاً على الموت فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اغدوا بنا إلى أحجار الزيت محلقين وحلق أمير المؤمنين عليه السلام فما وافى القوم محلقاً إلّا أبو ذر والمقداد وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وجاء سلمان في آخر القوم فرفع يده إلى السماء فقال: إن القوم استضعفوني كما استضعفت بنو إسرائيل هارون عليه السلام، وفيه عن الاحتجاج في رواية سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي حديث طويل وفيه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر وأصحابه: «أما والله لو أن أولئك الأربعين الرجل الذين بايعوني وفوا لي لجاهدتكم في الله حق جهاده، أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة ثم نادى قبل أن يبايع: يابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني».

وفيه بإسناده إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: لما حج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وبلغ من حج مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون عليه السلام فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله البيعة لعلي عليه السلام بالخلافة على عدد أصحاب موسى عليه السلام فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سنة بسنة ومثلاً بمثل. . .

وفيه عن العلل بإسناده إلى ابن مسعود قال: احتجوا في مسجد الكوفة فقالوا: ما لأمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية؟ فبلغ ذلك علياً عليه السلام فأمر أن يُنادى الصلاة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس إنه بلغني عنكم كذا وكذا؟ قالوا: صدق أمير المؤمنين عليه السلام قد قلنا ذلك، قال: إن لي بسنة الأنبياء أسوة فيما فعلت قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: أولهم إبراهيم عليه السلام - إلى أن قال -: ولي بأخي هارون عليه السلام أسوة إذ قال لأخيه: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] فإن قلتم: لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم، وإن قلتم استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم فالوصي أعذر.

يعني مهانة، إنما هو هو الغضب الذي لا يتمالك صاحبه نفسه فضلاً عمن سواه، ولا سيما الغضب في الله حيث يراه يُشرَكُ به!، وإن كان عن غير تقصير من الداعية الرسولية، إنما ذلك لواقع الأمر الإمر.

وفي نظرة أخرى إلى مسرح الآيات التي تستعرض قصة موسى وهارون هنا وفي طه لا نجد أية لمحة مركزة إلى تقصير لموسى وأخيه عليهما السلام.

ففي طه ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾[1] لا يعني ذلك السؤال إلّا كما يعنيه لإبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ﴾[2] حيث يعني معرفة الجواب من إبراهيم حتى لا يخيل إلى أحد أنه سأل لكونه لم يؤمن.

فقد يسأل موسى أخاه حتى يبين موقفه المعصوم السليم في خلافته لهؤلاء الأنكاد، ولمن قد يخيّل إليه من أتباعه أنه عصى موسى إذ لم يتبعه، فجاء الجواب: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[3].

فقد تفرقوا في حقل عبادة العجل بين ثلاث، عابدة له وتاركة للنهي عنه، وناهية عنه، وهو من خلفيات الدعوة الهارونية وكما تخلفه كافة الدعوات الرسالية.

فإذا اختلفوا هكذا بغياب موسى وحضور هارون والذين معه، فقد يتوسع خلافهم بغياب الداعية الرسولية والذين معه، إكباباً أكثر من رؤوس زوايا الضلال والإضلال، والتحاقاً بهم للمترددين بين الأمرين حيث لا يلتحقون بهارون والذين معه، وتوانياً قد يحصل للبعض من الذين معه،

(١) سورة طه، الآيتان: ٩٢، ٩٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٣) سورة طه، الآية: ٩٤.

فيخلو الجو - إذاً - لتوسع الضلال من السامري بعجله، والذي عبدوه أو كاد أم يكاد.

وذلك التفريق بين بني إسرائيل ليس إلّا باتباع هارون موسى أن يلتحقه في ذلك الجوّ المحرج المخرج عن الهدى، وما كانت وصية موسى لهارون إلّا ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وخروجه عنهم إفساد واتباع لسبيل المفسدين الذين يحبون تخلية الجو وتصفيته عن الداعية الرسولية والرسالية.

ذلك، ثم وليس في آيات الأعراف آية مزرأة بموسى وهارون، إلّا بياناً لعصمتهما وبراءة هارون عن أي، تخلف فإن تلك المواجهة الموسوية لهارون أوجبت بيان البراءة التي لم تكن باهرة للكل إنهم ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى...﴾!.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ عنوان مشير يشير إلى هؤلاء اليهود، ورأس زاوية الضلال فيهم هو العنوان الذي يشير إليهم - اتخذوا العجل - بما لهم من كافة السيئات والنكبات بدءَ ختم.

إذاً فـ ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ليست لتنافي توبتهم عما عبدوا العجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

إذ إن توبتهم هذه مهما كانت مقبولة فليست لتردع عن حاضر الغضب

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

والذلة في الحياة الدنيا، لعمق الجريمة المحتاجة إلى كفارة كمثل ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ولسائر الجرائم المتواصلة منهم من تكذيب آيات الله، وتقتيل أنبياء الله، وقلب وتحريف أحكام الله.

إذاً فقد ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1] و﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾[2]. كما ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[3] ذلك، والعذاب قد يكون مثناه دنيا وعقبى، أم في الأول دون الأخرى أم في الأخرى دون الأولى، أم لا عذاب فيهما، وأقل العذاب للذين اتخذوا العجل هو ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

أجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ هم مغضوب عليهم في الدنيا والآخرة إن لم يتوبوا عن عبادة العجل، أم تابوا ولكنهم استمروا في سائر الضلال والإضلال، ولا أقل من أنهم ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فإنهم تختصهم اللعنة بين سائر الملعونين: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[4] ولقد ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾[5] أن كذبوا بما كانوا به يستفتحون على الذين كفروا: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٩.